M-26
Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحكمة الخالدة

جاويدان خرد

تحقيق وتقديم

عبد الرحمن بدوي

دار الأندلس
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة
١٩٨٣

جميع الحقوق محفوظة

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ٤٥٥٣ ١١ - تلكس ٢٣٦٨٣

فهرس الكتاب

صفحة

تصدير عام ... ... ٧ وما يتلوها

حكم الفرس

كتاب جاويدان خرد ... ... ١ — ٢٢
آداب الفرس : ... ... ٢٦ — ٨٨
من آداب بزرجمهر ... ... ٢٩ — ٤١
من حكم كسرى قباذ ... ... ٤١ — ٤٥
كتاب بزرجمهر إلى كسرى ... ... ٤٥ — ٤٨
حكم توثر عن أنوشروان ... ... ٤٩ — ٦١
حكم لبهمن الملك ... ... ٦١ — ٦٧
فصل من كلام حكيم آخر فارسي وغيره ... ... ٦٧ — ٧٤
وصية أخرى للفرس ... ... ٧٤ — ٨٥
فصل آخر ... ... ٨٦ — ٨٦
فصل من كلام حكيم آخر ... ... ٨٧ — ٨٨

حكم الهند

حكم الهند ... ... ٨٩ — ١٠٠

حكم العرب

حكم العرب : ... ... ١٠١ — ٢٠٨
أحاديث نبوية ... ... ١٠٣ — ١١٠
ما يؤثر عن علي بن أبي طالب ... ... ١١٠ — ١١٣
حكم للتابعين والحسن البصري والصدر الأول ... ... ١١٤ — ١١٨

صفحة

من إشارات الصوفية ... ... ١١٨ — ١١٩
العقل والعلم والدين ... ... ١٢٠ — ١٢١
ألفاظ لبعض الملوك الأدباء ... ... ١٢١ — ١٢١
كلمات متفرقة ... ... ١٢٢ — ١٢٧
من وصايا لقمان لابنه ... ... ١٢٧ — ١٢٨
كلمات متفرقة ... ... ١٢٨ — ١٥٥
وصية قس بن ساعدة لابنه ... ... ١٥٥ — ١٥٦
كلمات متفرقة ... ... ١٥٦ — ١٦٤
من كلام الحسن البصرى ... ... ١٦٤ — ١٦٥
كلمات متفرقة ... ... ١٦٥ — ١٧١
ومن حكم العرب فى الجاهلية ... ... ١٧١ — ١٧١
كلمات متفرقة ... ... ١٧١ — ١٧٤
من كلام أكثم بن صيفى ... ... ١٧٤ — ١٧٤
كلمات قيلت عند حضور الموت ... ... ١٧٤ — ١٧٦
كلمات متفرقة ... ... ١٧٦ — ١٨٠
وصية لحكيم ... ... ١٨١ — ١٨٢
كلمات متفرقة ... ... ١٨٢ — ١٨٧
فى ذم الهدية ... ... ١٨٧ — ١٨٧
كلمات متفرقة ... ... ١٨٧ — ١٩٢
كلام لبعض المتصوفة ... ... ١٩٣ — ١٩٤
حكم للعرب وأمثال لها سائرة ... ... ١٩٥ — ٢٠٨

حكم الروم

سقراط ... ... ٢١١ — ٢١٣
هرمس ... ... ٢١٤ — ٢١٦
ديوجانس ... ... ٢١٦ — ٢١٦

صفحة

بطلميوس ... ... ٢١٧ — ٢١٧
وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس ... ... ٢١٧ — ٢١٩
وصية أرسطوطاليس للاسكندر ... ... ٢١٩ — ٢٢٥
وصية فيثاغورس المعروفة بالذهبية ... ... ٢٢٥ — ٢٢٨
ذكر قابس الأفلاطونى ولغزه أولوح قابس ... ... ٢٢٩ — ٢٦٢
حكايات عن سقراط وأفلاطون ... ... ٢٦٥ — ٢٦٦
آداب لأرسطوطاليس كتبها فى صحيفة وكان يعلمها الإسكندر ٢٦٦ — ٢٦٧
ومن الآداب أيضاً ... ... ٢٦٨ — ٢٧٠
وصية أفلاطن فى تأديب الأحداث، نقلها اسحق بن حنين ٢٧٠ — ٢٧٨
رسول أرسطو والاسكندر ... ... ٢٧٨ — ٢٨١
حكم لسقراط ... ... ٢٨١ — ٢٨٢

حكم الإسلاميين المحدثين

وصية ... ... ٢٨٥ — ٢٩٠
فصل ... ... ٢٩٠ — ٢٩٢
فصل آخر ... ... ٢٩٢ — ٢٩٢
آداب ابن المقفع ووصاياه ... ... ٢٩٣ — ٣٢٧
كلام أبى نصر الفارابى فى وصايا يعم نفعها جميع من
يستعملها من طبقات الناس ... ... ٣٢٧ — ٣٤٢

خاتمة

أقوال لأفلاطون ... ... ٣٤٥ — ٣٤٦
من وصايا أبى الحسن العامرى وآدابه ... ... ٣٤٧ — ٣٧٢
كلمات للجاحظ وأخرى متفرقة ... ... ٣٧٢ — ٣٧٥

تصدير عام

الشرق موطن الأمثال والحكم القصيرة والكلمات العامرات بمعانى « الحكمة فى الحياة » على حد تعبير شوپنهور . فهو يقدس « الكلمة » بالمعنى الأتم لهذا اللفظ ذى التاريخ الحافل فى الأديان الشرقية كلها ، وبخاصة فى اليهودية ممثلةً فى فيلون ، والمسيحية كما رسمها مستهل « الانجيل الرابع » المنسوب إلى يوحنا ، والاسلام كما بلغ أوج صورته الشيوصوفية فى مذهب محيي الدين بن عربى . ومن هنا كانت أكثر الكتب رواجاً فى الفكر الشرقى عامةً كتب الكلمات القصيرة الحكمية : سواء أكانت فى صيغة مناجاة أم كانت على هيئة نثر مطرد الفقرات وآية هذا المكانةُ الكبرى التى لـ « مزامير داوود » وسفر « الأمثال » ، و« الحكمة » ليشوع بن شيراخ و « الجامعة » المنسوب إلى سليمان — من بين أسفار « العهد القديم » عند اليهود ؛ وكتب الـ « أندرزها » الايرانية التى انتشرت فى إيران قبيل الإسلام وبعده بقليل . بل إن العقل الشرقى لم يستطع أن يهضم الفلاسفة اليونانيين إلا بعد أن وضعت لهم — انتحالا فى أغلب الأمر — أمثال وجمل حكمية قصيرة عُنِي بإيرادها كثير من كتب « الملل والنحل » و« نوادر الفلاسفة » فى الإسلام ؛ كما يشاهد خصوصاً فى كتاب « الكلِم الروحانية فى الحكم اليونانية » لأبى الفرج بن هندو (المتوفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) ، وفيما أورده قبله وبعده كثير من الكتاب مثل الجاحظ وأبى بكر محمد بن زكريا الرازى وأبى حيان التوحيدى وأستاذه أبى سليمان السجستانى فى كتاب « صوان الحكمة » . وفى فكرة « الفصوص » نفسها ونقوش الخواتم ما يدل على معنى هذه العناية الهائلة عند الشرقيين بالكلم الروحانية القصار : فحنين بن اسحق يعنى فى كتابه « نوادر الفلاسفة » بذكر نقوش خواتم الفلاسفة اليونانيين الذين أورد أخبارهم و « نوادرهم » فى كتابه هذا ؛ والفارابى ينسب إليه — وقد بدأ الشك يساور الباحثين حول صحة هذه النسبة — كتاب « فصوص الحكم » ؛ وابن عربى يسمى رائعة مؤلفاته باسم

« فصوص الحكم » أيضاً؛ وابن عطاء السكندرى يكتب كذلك كتاب « الحكم » . وكل هذا إنما يدل على ما لهذا النوع من الكتابة من دلالة خاصة عند العقل الشرقى ، أو الحضارة العربية السحرية بخاصة .

وساعد على تحقيق هذا النوع الأدبى اللغاتُ السامية نفسها : فهى لغات التصاقية ، أعنى أن الكلمات تتتالى فيها لتؤدى المعانى بغير توقف بعض أجزائها على بعض . وهذا من شأنه أن يعين على إنشاء الكلمات القصار أكثر من إنشاء العبارات المركبة périodes ، ولهذا انعدم هـذا النوع البلاغى période ، الكبير الأهمية فى بلاغة اللغات الأوروبية ، وبخاصة اللاتينية ، انعدم من اللغات السامية . والكاتب الممثل الحقيقى لهذه اللغات السامية هو من يكتب على طريقة الفواصل : sentences ، لا على طريقة العبارات المركبة périodes . وإذا كانت اللغة العربية المعاصرة تميل فى نثرها الى الابتعاد عن الفواصل والاتجاه صوب العبارات المركبة ، فما هذا إلا بسبب تأثرنا اليوم بالكتابة الأوروبية ، ولا يزال الكتاب المتمسكون بعمود الروح العربية الأصيلة يلتزمون الفواصل فى الأسلوب . وليس معنى هذا أنه لا توجد فى اللغات الأوروبية جملٌ قصيرة وكلمات حكمية ؛ بل هى توجد عند الكتاب اليونانيين — وإن كان الشك قوياً جداً فى صحة نسبتها إلى أكثرهم ، خصوصاً إلى من يعرفون باسم « الحكماء السبعة » والفلاسفة السابقين على سقراط ، فمصادرنا عنهم أُلفت فى العصر « الهلينى » أى العصر المتأثر بالشرق كل التأثر ، خصوصاً كتب تراجم الفلاسـفة ، مثل « تراجم الفلاسفة » لذيوجانس اللائرسى ، وكتـاب الأمشاج Στρώματα للقـديس كليمانس السكندرى — نقول إنهـا توجد عند الكتـاب اليـونانيين ؛ واللاتينيـين كما فى « تأملات » مرقس أورليوس ؛ والأوربيين المحدثين ، ويكفى أن نذكر من أسمائهم بسكال وفوفنارج وشامفور من بين الفرنسيين ، وشوبنهور وجيته ونوفالس من بين الألمان ، وليوباردى من بين الإيطاليين ، وجراثيان بلتسار من بين الأسبان ، الخ . وإنما نريد أن نقرر أن هذا النوع من الكتابة الأدبية لم يظفر فى أوربا بما ظفر به فى الشرق من رواج وعناية واحتفال ، ولم يكن طابعاً ذا سيادة فى الفكر الأوربى عامة كما كان فى الفكر الشرقى .

وهذا النوع من الأدب ، أدب الأمثال والحكم والمواعظ ، فيه من النفع بقدر ما فيه من الضرر . فهو إن أفاد فى الحث على الفضيلة وفى استلهام الموعظة واتخاذ معايير للسلوك ، فانه يضر من حيث هو قيد يشد النفس إلى صيغ مصنوعة وأفكار سابقة préjugés ومعان متعارفة ، وهذه من شأنها أن تحجر السلوك فى مجارى السنة التقليدية ، مما يدعو إلى الانصراف عن التجديد والتوثب ويعقل سورة المتوفز إلى الآفاق المجهولة والمرامى الجديدة . فالنفوس المبتكرة لا ترتاد إلا المجهول ، ولا تسير على مواطئ أقدام الأوائل ، بل تفتح لنشاطها طرقاً لم تطأها من قبل أقدام القدماء : وهذا هو سر التقدم الحى للإنسانية . أما أولئك الذين يلتزمون « القواعد الذهبية » ، ويتمسكون بعمود « السنة التقليدية » tradition ويستلهمون فى سلوكهم ما يسمى باسم « حكمة الأمم » la sagesse des nations فلم يكونوا فى الواقع غير مواطنين bourgeois متوسطين « طيبين » ، ولم يكونوا أبدا روّاداً بارزين . ولهذا نرى نموذج دون كيخوته ينفر من الأمثال ويكره المواعظ ويدوس بقدميه حكمة الآباء ؛ ومن المعلوم أن الحضارة إنما ينشئ قيمَها الكبرى أمثال دون كيخوته ، وليس أولئك « المواطنين الطيبين » ؛ ولهذا لا نحسبنا نعدو الحق كثيراً ، إذا قررنا أن انتشار أدب الأمثال والحكم والمواعظ فى الشرق كان من أسباب ضعفه وانحلاله ، لأن الاكتفاء اللفظى كثيراً ما يقوم مقام الطاقة الفاعلية ، وفى هذا التعويض يقع المرء فريسة وهم مخيف : وهم إمكان الاستغناء بالألفاظ عن الأفعال ، وهو الوهم الذى يقتل كل حيوية ويكون أذاناً بانحلال صاحبه . وفى حياة الشرق فى العصر الحديث أبلغ دليل على ما نقول . ومن الأعراض الملازمة لهذا المركب النفسى الفاسد : النفاقُ ، والتوكل ، والخداع العاجز ، والمشاحنة السلبية فى الأحوال التى تقتضى النضال الصريح الشريف . ومن هنا كانت طائفة الوعاظ شر طائفة أخرجت للناس ، لأن إحالة الوعظ إلى مهنة ، تستتبع وراءها ذلك الاختلال النفسى الذى أشرنا اليه . إنما المهم فى قراءة الحكم أو لدى سماعها أن يتمثلها القارئ أو السامع فى نفسه ، وأن يحياها فى أفعاله ، وأن ينفعل بها كل كيانه ، وأن يحيلها إلى تجربة شخصية وكأنها مواعظ استخرجها لنفسه بنفسه من نفسه ، أو حكم قيلت فى شأنه وعبر استنبطت من حاله وأفعاله ، كما كان الحلاج يفعل مع آيات القرآن .